القبـــــائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٣ —

يخطىء من يحسب أن القبائل العربية كانت تجرى فى تعديتها للأفعال أو تصريفها على منوال رتيب . ومن السير معرفة ما إذا كانت هذه القبيلة تتجه إلى زيادة مبنى الألفاظ أو تلك تميل إلى اختصارها ؛ فمثلا قبيلة تميم تقول أجزأ عنى بمعنى قضى وأمضنى هذا الأمر . وأسحته (١) الله وآلانه عن وجهه . وغيرها يقول جزى عنى وضنى وسحته ولانه بينما تقول تميم جبرت فلاناً على الأمر . وهلك (٢) الله الظالمين وخلا فلان على الابن بمعنى اقتصر عليه وغيرها يقول أجبرته واهلكهم وأخلى . ونجد تميما تقول : حسب (٣) يحسب على وزن علم يعلم ويرى المريض يبرأ على وزنه كذلك ويقول الحجازيون حسب يحسب بكسر السينين ويرأ يبرأ بفتح الراءين . هذا فى حين أن تميما تقول رضع يرضع وعرض له الأمر يعرض على وزن ضرب يضرب فيهما ويقولها الحجازيون على وزن علم يعلم كما تقول القبائل بما فيها تميم جنح لكذا بفتح النون ويختلفون فى نون مضارعها فتميم تفتحه (٤) وقيس تضمه وغيرهما يكسره . أما من حيث الزيادة والنقص فترى تميما تقول اتخذت (٥) وهو الذى ينتقد الدراهم ، والكراهية . وايـــله أضحيانة وغيرها يقول تخذت وهو الذى ينتقد الدراهم وايلة ضحيانة . هذا فى حين أن تميما تقول مذ وأيم لله بدون نون فيهما ، وتفتح همزة أيم ، وثلثان بدون ألف ؛ وغيرها : اثنتان ومنذ وأيمن الله ومن القبائل من يقول أيم بكسر الهمزة وهم بنو سليم . ولم بدون ياء وهم أهل اليمامة وأغلبهم بنو حنيفة .

ومن حيث الواو والياء والألف نجد تميما تقول : القنوة وقلنسوة والقار ويقول الحجازيون القنية وقلنسية والقير فى حين أن قبائل نجد ومنها تميم يقولون القصيا (١) وتجمع تميم وضبة القنو (٢) على قنيان بالياء وضم القاف والحجازيون يقولون القصوى ويجمعون القنو على قنوان بالواو وكسر القاف وقبيلة قيس تقول القصوى وتجمع القنو على قنوان بواو وضم القاف ، وقبيلة كلب تجمعه على قنيان (٣) بالياء وكسر القاف .

ومن حيث الحركات نجد تميما وتشاركها فى بعض ذلك قيس وأسد تقول : الزعم (٤) والفواق (٥) والأسوة (٦) ومرية (٧) بضم أول الكلمات ويفتح الحجازيون أول الأوابن ويكسرون أول الأخيرين . فى حين أن تميما تقول عقر الدار والشهد وربوة (٨) بفتح أول الكلمات ، والمصحف والطرف والمغزل والرجز (٩) بكسر أولها ويضم الحجازيون أول الرجز وعقر الدار والشهد وربوة وتضم قيس أول المصحف (١٠) والطرف والمغزل .

فنحن كما نرى لا نجد لأى قبيلة طريقة واحدة فى أوزان الأفعال وكيفية تعديتها ولا منهجاً متفقاً فى الميـــل إلى الزيادة أو النقص ولا خطة ثابتة تسلكها فى صوغ الكلمات .

أما ما ذكرته سابقاً من الإمالة والتسهيل وتحزها فذلك من

---

(١) قرأ جمهور القراء القصوى وقرأ زيد بن على القصيا على لغة تميم

(٢) هو العذق ويسمى الكباسة وهو عنقود النخلة .

(٣) هذا كما فى اللسان ، أما كتاب النهر الماد من البحر فقال قنوان بالكسر لغة الحجاز وضمها لغة قيس وقنيان بالضم لغة ربيعة وبالضم والكسر لغة تميم ونسب البحر للفراء أن الضم مع الواو لغة قيس وأهل الحجاز ، ثم ذكر أبو حيان أن ما رواه فى مفرداته هو قنوان بالكسر لغة الحجازيين وقد قرأ الجمهور على لغة الحجازيين بالكسر والواو . وقرأ الأعمش على لغة قيس بضمها ورواه السلمى عن على بن أبى طالب ولم يقرأها أحد بلغة تميم أو ربيعة أو كلب وقرئت بالفتح والواو ولم تنسب لغتها إلى أى قبيلة .

(٤) قرأ الكسائى والشنبوذى عن الأعمش بالضم واقتصر فى تفسير البحر على نسبة الزعم بالضم إلى قبيلة أسد ونسبها الزهر والناس لتميم وقرأ باقى القراء بالفتح وقرأ ابن أبى عبلة بفتحتين ، وهناك لغة لبعض بنى تميم وقيس بكسر الزاى لم يقرأ بها :

(٥) الفواق مقدار ما بين حلبتى الحالب ورضعتى الرضيع .

(٦) قرأ عاصم والأعمش بالضم على لغة قيس وتميم والباقون بكسرها لغة الحجاز .

(٧) قرأ بضم الميم الحسن وهى لغة أسد وتميم والباقون بالكسر .

(٨) قرأ ابن عامر وعاصم والحسن بفتح الراء والباقون بضمها وقرأ ابن عباس والمطوعى عن الأعمش بكسرها ولم تنسب إلى لغة .

(٩) قرأ حفص وأبو جعفر ويعقوب وابن محيصن والحسن بضم الراء والباقون بكسرها .

(١٠) هذا كما فى اللسان وفى جمهرة ابن دريد فى أحد مواضعها لكن هامشها قال كسر الميم لغة الحجاز نقلا عن نسخة أخرى للجمهرة : وذكرت الجمهرة فى موضع آخر أن ضم الميم لغة تميم وكسرها لغة أهل الحجاز .

(١١) إمالة الحجازيين محضها أنهم يميلون الألف لأجل الكسرة .

---

(١) قرأ يحكم من الرباعى حفص وحمزة والكسائى ورويس وخلف والأعمش وقرأ الباقون من الثلاثى بفتح الياء والحاء .

(٢) قال العجاج : ومهمه هالك من تعرجا . هائلة من أهواله من أدلجا

(٣) قرأ ما ورد مضارعاً لحسب على لغة تميم ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر والحسن والمطوعى وقرأ الباقون بالكسر على لغة الحجازيين

(٤) قرأ جمهور القراء على لغة تميم بالفتح فاجنح لها

(٥) كل ما جاء فى القرآن بقراءاته على لغة تميم اتخذ واتخذت واتخذوا

المادة اللغوية التي لا تشذ عن قالبها الجماعة المرتبطة والبيئة المتفقة ولما كان حصر كل الألفاظ التي وردت في المعاجم والكتب منسوبة إلى القبائل مما لا يمكننا على وجه العموم فسأقتصر في الألفاظ على ما جاء في القرآن بقراءاته . ولست أزعم أنني قد حققت جميع ألفاظه ؛ إذ أن كثيراً من الكلمات لم تنسب إلى قبائلها مع أن فيها لغات مختلفة تجعلها متغايرة الأوزان . ولما كنت قد أخذت على نفسي أن أذكر ما لكل قبيلة من لهجة كان لها أثر في القراءات أو اللغة ونحوها وصرفها فإني أكمل أولا ما اختلفت فيه قبيلة تميم من جهة النحو والصرف ولو لم يكن له أثر في القراءات

(١) تنوين الترنم :

يقسم النحاة التنوين إلى (ا) تنوين التمكين . وهو اللاحق للأسماء المعربة . (ب) تنوين التنكير وهو اللاحق للأسماء المبنية (ح) تنوين المقابلة وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم (د) تنوين العوض وهو اللاحق للاسماء المنقوصة (ه) تنوين الترنم وهو يلحق أواخر القوافي المطلقة التي في آخرها حركة . وهذا التنوين في لغة تميم وقيس تلحقانه للمحلى بأل وبالفعل سواء كان ماضياً أم مضارعاً وبالضمير وبالحرف . والاصطلاح على أن اسمه الترنم مخالف لأثره الناشئ عنه إذ أنه في الواقع يقطع ترنم المنشد حين يشبع الحركة بما يجانسها من حروف العلة فينطق بنون ساكنة تصحب الحركة القصيرة ولهذا سماه بعضهم تنوين قطع الترنم ومن شواهده التي تروى لاحقاً للمحلى بأل والفعل قوله :

أقلي اللوم عاذل والعتـــابن وقولي إن أصبت لقد أصابن

ولاحقاً بالحرف قوله :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قدن

ولاحقاً بالضمير قوله : يا أبتا علك أو عساكن .

هذا وسماه صاحب الإتقان تنوين الفواصل إذا كان في القرآن وخرجوا عليه قول الله تعالى « وأكواب كانت قواريرا » قال الزمخشري وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة .

وكذلك قال في قراءة من قرأ « سلاسلا » بالتنوين : إنه بدل من حرف الإطلاق أجرى الفواصل مجرى أبيات الشعر حيث يدخل التنوين في القوافي المطلقة إشعاراً بترك الترنم كما قال الراجز « يا صاح ما هاج الدموع الذرفن » .

وقرأ أبو الدينار الأعرابي « والفجر ... والوتر .. يسر » بالتنوين في الثلاثة . قال ابن خالويه : هذا كما روى عن بعض العرب أنه وقف على آخر القوافي بالتنوين وإن كان فعلا وإن كان اسماً فيه ألف ولام .

(٢) لغة تميم إهمال « ليس » (١) إذا اقترنت بها « إلا » كقولهم : ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله برفع طاعة والحجازيون ينصبونها . قال الأصمعي : جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند أبي عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمر ما شيء بلغني عنك تجيزه ! قال وما هو ؟ قال بلغني أنك تجيز « ليس الطيب إلا المسك » بالرفع قال أبو عمرو نعم ياعيسى وأدلج الناس ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع ثم قال أبو عمرو قم يا يحيى يعني اليزيدي وأنت يا خلف ، يعني خلفاً الأحمر ، فاذهبا إلى أبي المهدي فلقناه الرفع فإنه لا يرفع واذهبا إلى أبي المنتجع فلقناه النصب فإنه لا ينصب فذهبا فأتيا أبا المهدي فلقناه الرفع فلم يرفع وقال : ليس هذا لحني ولا لحن قومي ، ثم أتيا أبا المنتجع فلقناه النصب وجهدا به فلم ينصب وأبى إلا الرفع . فأتيا أبا عمرو وأخبراه فأخرج عيسى بن عمر خاتمه من يده وقال . ولك الخاتم هذا ، والله فقت الناس .

(٣) كم الخبرية : تميز كم الخبرية واجب الخفض ويكون مفرداً ومجموعاً إلا أن التميميين يجيزون نصب تميزها إذا كان مفرداً وقد جاء في رواية لبيت الفرزدق :

كم عمة لك ياجرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري

بنصب عمة على أنها تميز لكم الخبرية على لغة التميميين ، وقيل إن كم هنا استفهام تهكمي . واستعملت كم(٢) في القرآن بأن يقترن تمييزها بحرف الجر « من » ، « وكم من ملك » أو يتصل الفعل بها مباشراً « كم تركوا من جنات وعيون » .

(٤) أمس : يبنى الحجازيون أمس على الكسر رفعاً ونصباً وجراً . ظرفاً وغير ظرف يقولون رأيته أمس وذهب أمس بما فيه وما رأيته مذ أمس . وقد ورد :

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تمسي

وطلوعها حمراء قانيـــة وغروبها صـــفراء كالورس

(١) لم يرد في القرآن استعمال ليس وبعدها إلا ما عدا قوله تعالى « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » و « أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار » ويلاحظ أن الخبر فيهما مقدم وهو شبه جملة فلا يظهر عليه إعراب يوضح اختلاف الحجازيين مع التميميين .

(٢) ذكر السيوطي في إتقانه أن كم الاستفهامية لم تقع في القرآن وهذا سهو منه كاد يوقعني في الخطأ إذ أنها وقعت فيه أربع مرات : كم لبثتم مرتين ، كم لبثت ، سل بني إسرائيل كم آتيناهم .

اليـــوم أعلم ما يجيء به ومضى بفصل قضائه أمس

أما تميم فتبنى أمس على الكسر فى حالتى النصب والجر وتعربه إعراب مالا ينصرف فى حالة الرفع ، وقد قيل :

اعتصم بالرجاء إن عن يأس وتناس الذى تضمن أمسُ

ومن بنى تميم من يعربه إعراب ما لا ينصرف فى حالتى النصب والجر أيضاً ، وقد قيل :

لقد رأيت عجبـــاً مذ أمسا عجائزاً مثـــل السعالى خمسا
يأكلن ما فى رحلهن همسا لا ترك الله لهن ضرســـا

ومن بنى تميم من يعربه إعراب المنصرف فينونه فى الأحوال الثلاث ، والقرآن الكريم لم يستعمل أمس وإنما استعملها معرفة بالألف واللام مجرورة بالباء « فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه . قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون » .

(٥) ما كان علماً على فعال يعربه بنو تميم ممنوعاً من الصرف وبعضهم يصرفه وقد جاء :

قد مر دهر على وبار فأهلكت جهـــرة وبارُ

أما الحجازيون فيبنونه على الكسر وأكثر بنى تميم يوافقون الحجازيين فيما كان آخره راء كحضار وبعضهم يعربه أيضا كإعراب مالا ينصرف وأغلب الأشعار جاءت على لغة الحجازيين قال لجيم بن صعب :

إذ قالت حزام فصيدقوها فإن القول ما قالت حزام

وقال النابغة :

أتاركة تدللها قطـــام وضـــناً بالتحية والكلام

هذا وقد اتفق الحجازيون والتميميون وسائر العرب على بناء فعال المعدول على الكسر إذا كان مصدراً إلا بنى أسد فإنهم يبنون هذا النوع على الفتح تخفيفاً وقد جاء على الأكثر :

هى الدنيا تقول بملء فيها حذارِ حذار من بطشى وفتكى

(٦) المصدر النكرة الواقع بعد أما يجوز رفعه عند التميميين يقولون « أما علم فعالم » ؛ إلا أن الأرجح عندهم النصب ، والحجازيون يوجبون نصبه ، وإذا كان المصدر بعد أما معرفة فالأرجح عند الحجازيين رفعه ويجيزون نصبه نحو أما العلم فعالم لكن بنى تميم يوجبون رفعه ، وقد روى على لغة الحجازيين بجواز النصب فى المصدر المعرفة قول الشاعر :

ألا ليت شعرى هل إلى أم معمر سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا

بنصب الصبر بعد أما .

(٧) تقول العرب فى كلامها : بعداً له وسحقاً أو قبحاً له وترحاً ، أما تميم فإنها ترفع فتقول بعدٌ له وسحق كقولك غلام له وفرس .

(٨) من ثلاثة إلى عشرة تنصب عند الحجازيين على الحال إذا أضيفت إلى ضميرها تقدمها يقولون جاء القوم ثلاثتهم ورأيتهم ثلاثتهم ومررت بهم ثلاثتهم « بنصب ثلاثتهم فى الجميع أما بنو تميم فإنهم يتبعون ذلك لما قبله فى الإعراب توكيداً له فيرفعون فى المثال الأول وينصبون فى الثانى ويجرون فى الثالث .

(٩) بنو تميم يتممون مفعولا من الياء فيقولون ثوب مخيوط ورجل مديون وقد ورد : فكأنها تفاحة مطبوبة » وورد « يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم » وقول الشاعر أيضاً :

قد كان قومك يحمونك سيداً وأخال أنك سيد معيوب

وبعضهم يجرى ذلك فى لواوى أيضاً وقد جاء : « والمسك من عنبره مدووف » وورد فرس مقوود وثوب مصوون ورجل معوود ، أما غير تميم فإنهم يعلون ذلك بالحذف سواء أكان من الياء أم من الواو فيقولون مخيط ومدين ومصون . . الخ

(١٠) لبنى تميم فى الحلق العين الثلاثى تفريعات :

(ا) أن يكسروا الحرف الحلق فإذا كسروه فقد يتبعون فاء الكلمة لعينها يقولون نَخِذٌ « اسماً » ونَهِلَ « فعلا » بفتح الأول وكسر الثانى منهما ، أو نخِد ونهِل بكسر الأول والثانى منهما .

(ب) أن يسكنوا الحرف الحلق يقولون نَخْذٌ ونَهَلَ بفتح فسكون فيهما

(ج) أن ينقلوا حركة عين الكلمة وهى الكسرة إلى فائها ويسكنون عينها يقولون نخذ ونهل بكسر فسكون فيهما .

وما كان على وزن فعيل يكسرون فاء كلمته تبعاً لعينها إذا كانت العين أحد حروف الحلق وهى الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء يقولون : زئير وشهيق وسعيد ورحيم وشخير ورغيف بكسر أولها وثانيها جميعاً . ومنهم من يفعل ذلك فى فعيل ولو لم يكن عينه حرف حلق فيقولون كبير وجليل هذا وتشاركهم فى أغلب ذلك قبيلتا قيس وأسد .

(للبحث بقية)

عبد الستار أحمد فرج
محرر بالمجمع اللغوى